بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

البلاغة على منصة الخطابة لا تُغيِّر الواقع على الأرض!

(مترجم)

الخبر:

في قمة القادة ضمن مؤتمر "COP31"، قال أردوغان: "إن استعراض القوة على حساب معاناة أطفال غزة هو علامة على الضعف والعجز وانعدام الضمير". وأضاف: "يجب السماح بدخول المساعدات الإنسانية على الفور. كما ينبغي إنهاء سياسة العزل هذه؛ إذ يجب أن يتوقف هذا الظلم وهذه القسوة، ويُوضع حدٌّ لهما الآن". (وكالات أنباء، 11 تشرين الثاني/نوفمبر 2026)

التعليق:

إن أعظم خداع هو ما يمارسه حكام المسلمين، خاصة من يُفترض أنهم يمثلون القوى الأكثر نفوذاً في المنطقة، إذ إنهم يشجبون الظلم ويدينونه، بينما يمتنعون في الوقت ذاته عن اتخاذ خطوات ملموسة لوقفه. ومع ذلك، فإن ربنا سبحانه يحذّر الذين يدّعون الإيمان من هذا الأمر تحديداً، وبأشد العبارات، حيث يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾.

إن واجب القيادة ليس وصف معاناة المظلومين ومناشدة الظالم ليتحلى بالرحمة، ولا هو مجرد نقل ما يجري في المنطقة كما يفعل الصحفيون! فالتعبيرات السلبية التي تعكس العجز أو تعتمد على التمني، مثل قولهم يجب السماح بذلك، أو إنهم يمنعون دخول الخيام أو الغذاء، أو يجب أن ينتهي هذا الأمر، قد تكون مقبولة حين تصدر عن منظمات غير حكومية أو ناس عاديين لا يملكون من أمرهم شيئاً؛ لكن لا مكان لمثل هذه العبارات في قاموس من يملكون السلطة. فواجب أصحاب السلطة ليس استجداء الرحمة من الظالم، بل كسر يده التي تمتد لإلحاق الأذى بالمظلومين.

قال نبينا ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**». وبالنسبة للحكام الذين يملكون موارد الدولة والجيوش والقدرة على إنكار المنكر بأيديهم، فإن الاكتفاء بالإنكار باللسان، يُعدّ بمثابة مساعدةٍ للظالم.

إن التاريخ الإسلامي ليس تاريخاً للخطب الرنانة الفارغة، بل هو تاريخٌ للأفعال الشريفة والحازمة التي تتسم بالعزة والكرامة. فعندما وصل إلى بغداد نداءُ امرأةٍ مسلمةٍ تقبع في سجون الروم، وهي تستغيث وا معتصماه! لم يلجأ الخليفة إلى ألاعيب الدبلوماسية الدولية، ولم يطلب من إمبراطور الروم الرأفة، ولم يكتفِ بإصدار بيانات التنديد؛ بل وضع كأس الماء من يده وقال: لبيكِ يا أختاه، ثم انطلق بجيشه، وفتح مدينة عمورية، وحرّر تلك المرأة. وعلى المنوال ذاته، جاء عزمُ صلاح الدين الأيوبي، فاتح القدس، في تحرير المدينة المقدسة من الاحتلال الصليبي.

إن قول عمر رضي الله عنه: "لو أن ذئباً انتزع شاةً على ضفاف الفرات، لَحُوسِبَ عمرُ عنها" يضع اليوم عبئاً أخلاقياً هائلاً على عاتق حكام المسلمين، تجاه عشرات آلاف الأطفال الذين تمزقوا أشلاءً في غزة. وإن الحديث عن الظلم الجاري هناك من على المنابر لا يغير من الواقع شيئاً. وتحويل هذا الظلم إلى استعراض للقوة أو مادة للخطابات خدمةً لمصالح سياسية أو حسابات داخلية أو توازنات دولية؛ ليس مجرد عجز، بل هو تواطؤٌ مع الظالم.

في نهاية المطاف، قد تنجح الخطب البليغة في تدفئة القلوب للحظات وإثارة حماس الناس، لكنها في الواقع لا تسد رمق طفل في غزة، ولا تقي الأجساد من برد الشتاء القارس، ناهيك عن أنها لا توقف القنابل التي تتساقط عليهم. إن مفهوم الكرامة في الإسلام لا يقتضي استجداء الظالم كي يتوقف الآن، بل يفرض اتخاذ تدابير ملموسة تقطع شريان الحياة عن الظلم، كفرض حصار شامل، مع امتلاك العزم على التدخل المباشر. لقد ولّى زمن الكلام؛ فالتاريخ لن يدوّن من قال ماذا، بل سيسجل من حشد الجيوش التي تحت إمرته، ومن أبقاها حبيسة ثكناتها.

لا أقوال، بل أفعال. لا تهدئة للمشاعر بجملٍ منمقة، بل عملٌ ملموس. فما نحتاجه ليس تصريحاتٍ تعكس العجز والجبن، بل الشجاعة والعزيمة للقضاء على كيان يهود.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

أحمد سابا